ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين

ذكر غزاة وصيف الروم

في هذه السنة أغزى المنتصر وصيفاً التركي إلى بلاد الروم، وكان سبب ذلك: أنه كان بينه وبين أحمد بن الخصيب شحناء وتباغض، فحرض أحمد بن الخصيب المنتصر على وصيف، وأشار عليه بإخراجه من عسكره للغزاة، فأمر المنتصر بإحضار وصيف، فلما حضر، قال له: قد أتانا عن طاغية الروم أنه أقبل يريد الثغر، وهذا أمر لا يمكن الإمساك عنه، ولست آمنه أن يهلك كل ما مر به من بلاد الإسلام، ويقتل ويسبي، فإما شخصت أنت، وإما شخصت أنا، فقال: بل أشخص أنا يا أمير المؤمنين، فقال لأحمد بن الخصيب: انظر إلى ما يحتاج/ إليه وصيف فأتمه له، فقال: نعم، يا أمير المؤمنين! قال: ما نعم؟ قم الساعة! وقال لوصيف: مر كاتبك أن يوافقه على ما يحتاج إليه ويلزمه حتى يفرغ منه، فقاما ولم يزل أحمد بن الخصيب في جهازه، حتى خرج وانتخب له الرجال[1].

ج٥/ط/٣٠٧.

فكان معه اثنا عشر ألف رجل، وكان على مقدمته مزاحم بن خاقان أخو الفتح، وكتب المنتصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ببغداد يعلمه ذلك، ويأمره أن ينتدب الناس إلى الغزاة ويرغبهم فيها، وأمر وصيفاً/ أن يوافي ثغر ملطية، وجعل على نفقات العسكر، والمغانم، والمقاسم: أبا الوليد الحريري البجلي، ولما سار وصيف كتب إليه المنتصر يأمره بالمقام بالثغر أربع سنين يغزو في أوقات الغزو منها، إلى أن يأتيه رأيه[2].

ج٥/ط/٢٠٨.

ذكر خلع المعتز والمؤيد

وفي هذه السنة خلع المعتز والمؤيد ابنا المتوكل من ولاية العهد، وكان سبب

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٤٠)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٣)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٨٠٥)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٢٠).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٤٠، ٢٤١).

خلعهما: أن المنتصر لما استقامت له الأمور قال أحمد بن الخصيب لوصيف وبغا: إنّا لا نأمن الحدثان، وأن يموت أمير المؤمنين فيلي المعتز الخلافة، فيبيد خضراءنا، ولا يبقي منا باقية، والآن الرأي أن نعمل في خلع المعتز والمؤيد.

فجدَّ الأتراك في ذلك وألحوا على المنتصر، وقالوا: نخلعهما من الخلافة ونبايع لابنك عبد الوهاب، فلم يزالوا به حتى أجابهم، وأحضر المعتز والمؤيد بعد أربعين يوماً من خلافته، وجعلا في دار، فقال المعتز للمؤيد: يا أخي قد أحضرنا للخلع، فقال: لا أظنه يفعل ذلك، فبينما هما كذلك إذ جاءت الرسل بالخلع، فقال المؤيد: السمع والطاعة، وقال المعتز: ما كنت لأفعل، فإن أردتم القتل فشأنكم، فأعلموا المنتصر، ثم عادوا بغلظة وشدة، وأخذوا المعتز بعنف، وأدخلوه بيتاً، وأغلقوا عليه الباب.

فلما رأى المؤيد ذلك قال لهم بجراءة واستطالة: ما هذا يا كلاب؟ قد ضريتم على دمائنا، تثبون على مولاكم هذا الوثوب، دعوني وإياه حتى أكلمه، فسكتوا عنه وأذنوا له في الاجتماع به بعد إذن من المنتصر بذلك، فدخل عليه المؤيد، وقال: يا جاهل! تراهم نالوا من أبيك، وهو هو ما نالوا، ثم تمتنع عليهم؟ اخلع ويلك لا تراجعهم، فقال: وكيف أخلع وقد جرى في الآفاق، فقال: هذا الأمر قتل أباك، وهو يقتلك، وإن كان في سابق علم الله أن تلي لتليَنَّ، فقال: أفعل.

فخرج المؤيد وقال: قد أجاب إلى الخلع، فمضوا وأعلموا المنتصر، وعادوا فشكروه، ومعهم كاتب، فجلس وقال للمعتز: اكتب بخطك خلعك! فامتنع، فقال المؤيد للكاتب: هات قرطاسك! أملل عليّ ما شئت، فأملى عليه كتاباً إلى المنتصر يعلمه فيه ضعفه عن هذا الأمر، وأنْ لا يحل له أن يتقلده، وكره أن يأثم المتوكل بسببه إذ لم يكن موضعاً له، ويسأله الخلع، ويعلمه: أنه قد خلع نفسه وأحل الناس من بيعته، فكتب ذلك، وقال للمعتز: اكتب! فأبى فقال: اكتب ويلك! فكتب وخرج الكاتب عنهما، ثم دعاهما المنتصر فدخلا عليه، فأجلسهما وقال: هذا كتابكما؟ فقالا: نعم يا أمير/ ج٥/٣٠٩ط المؤمنين، فقال لهما ـ والأتراك وقوف ـ: أتراني خلعتكما طمعاً في أن أعيش حتى يكبر ولدي وأبايع له؟ والله ما طمعت في ذلك ساعة قط، وإذا لم يكن لي في ذلك طمع فوالله لأنْ يليها بنو أبي أحب إليَّ من أنْ يليها بنو عمي، ولكن هؤلاء ـ وأومأ إلى سائر الموالي ممن هو قائم عنده وقاعد ـ ألحوا عليَّ في خلعكما، فخفت إن لم أفعل أنْ يعترضكما بعضهم بحديدة فيأتي عليكما، فما تریاني صانعاً إذن؟ أقتله! فوالله ما تفي دماؤهم كلهم بدم بعضكم، فكانت إجابتهم إلى ما سألوا أسهل عليّ، فقبَّلا يده وضمَّهما، ثم إنهما

أشهدا على أنفسهما القضاة، وبني هاشم، والقواد، ووجوه الناس، وغيرهم بالخلع، وكتب بذلك المنتصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر وإلى غيرهم[١].

ذكر موت المنتصر

في هذه السنة توفي المنتصر في يوم الأحد لخمس خلون من ربيع الآخر، وقيل: يوم السبت، وكنيته: أبو جعفر بن المتوكل على الله، وقيل: كنيته: أبو العباس. وقيل: أبو عبد الله، وكانت علته الذبحة في حلقه أخذته يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الأول. وقيل: كانت علته من ورم في معدته، ثم صعد إلى فؤاده فمات، وكانت علته ثلاثة أيام، وقيل: إنه وجد حرارة، فدعا بعض أطبائه، ففصده بمبضع مسموم، فمات منه، وانصرف إلى منزله وقد وجد حرارة، فدعا تلميذاً ليفصده، ووضع مباضعه بين يديه ليستخير أجودها، فاختار ذلك المبضع المسموم، وقد نسيه الطبيب، ففصده به، فلما فرغ نظر إليه فعرفه، فأيقن بالهلاك ووصى من ساعته[٢].

وقيل: إنه كان وجد في رأسه علة، فقطر ابن الطيفوري في أذنه دهناً، فورم رأسه فمات. وقيل: بل سمَّه ابن الطيفوري في محاجمه فمات، وقيل كان كثير من الناس حين أفضت الخلافة إليه، إلى أن مات، يقولون: إنما مدة حياته ستة أشهر، مدة شيرويه بن كسرى قاتل أبيه، يقوله الخاصة والعامة[٣].

وقيل: إن المنتصر كان نائماً في بعض الأيام فانتبه وهو يبكي وينتحب، فسمعه عبد الله بن عمر البازيار فأتاه، فسأله عن سبب بكائه، فقال: كنت نائماً فرأيت فيما يرى النائم كأن المتوكل قد جاءني، فقال: ويحك يا محمد! قتلتني، وظلمتني، وغبنتني خلافتي، والله لا متّعت بها بعدي إلا أياماً يسيرة، ثم مصيرك إلى النار، فقال عبد الله: هذه رؤيا، وهي تصدق وتكذب، بل يعمرك الله ويسرك، ادع بالنبيذ وخذ في اللهو لا تعبأ بها، ففعل ذلك ولم يزل منكسراً إلى أن توفي[٤].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٤٤-٢٤٦)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٤٧) بمعناه، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٣، ٤)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٨٠٦).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٥١)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٤٧)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٤٢٣).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٥٢).

(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٥٢).

قال بعضهم: وذكر أن المنتصر كان شاور في قتل أبيه جماعة من الفقهاء، وأعلمهم بمذاهبه، وحكى عنه أموراً قبيحة، كرهت ذكرها، فأشاروا بقتله، فكان كما ذكرنا بعضه[١].

وكان عمره خمساً وعشرين سنة وستة أشهر، وقيل: أربعاً وعشرين سنة، وكانت خلافته ستة أشهر ويومين، وقيل: كانت ستة أشهر سواء، وكانت وفاته بسامراء فلما حضرته الوفات أنشد:

وَمَا فَرِحَتْ نَفْسِي بِدُنْيَا أَخَذْتُهَا ... وَلَكِنْ إِلَى الرَّبِّ الكَرِيمِ أَصِيرُ

وصلّى عليه أحمد بن محمد المعتصم بسامراء، وبها كان مولده، وكان أعين، أقنى، قصيراً، مهيباً، وهو أول خليفة من بني العباس عرف قبره، وذلك أن أمه طلبت إظهار قبره، وكانت أمه أم ولد، رومية[٢].

ذكر بعض سيرته

ج٥/٣١٠/ط كان المنتصر عظيم الحلم، راجح العقل، غزير المعروف، راغباً في الخير، جواداً، كثير الإنصاف، حسن/ العشرة، وأمر الناس بزيارة قبر علي والحسين عليهما السلام، وآمن العلويين وكانوا خائفين أيام أبيه، وأطلق وقوفهم، وأمر برد فدك إلى ولد الحسين والحسن ابني علي بن أبي طالب عليهم السلام، وذكر: أن المنتصر لما ولي الخلافة كان أول ما أحدث أن عزل صالح بن علي عن المدينة، واستعمل عليها: علي بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد، قال علي: فلما دخلت أودعه، قال لي: يا علي! إني أوجهك إلى لحمي ودمي، ومد ساعده وقال: إلى هذا أوجه بك، فانظر كيف تكون للقوم، وكيف تعاملهم - يعني: إلى آل أبي طالب - فقال: أرجو أن أمتثل أمر أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى، فقال: إذاً تسعد عندي[٣].

ومن كلامه: والله ما عز ذو باطل ولو طلع القمر من جبينه، ولا ذل ذو حق ولو اتفق العالم عليه.

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٥٢).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٥٣، ٢٥٤).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٥٤).

ذكر خلافة المستعين

وفي هذه السنة بويع أحمد بن محمد بن المعتصم بالخلافة، وكان سبب ذلك: أن المنتصر لما توفي اجتمع الموالي على الهارونية من الغد.

وفيها بغا الكبير، وبغا الصغير، وأتامش، وغيرهم، فاستحلفوا قواد الأتراك، والمغاربة، والأشروسنية على أن يرضوا بمن رضي به بغا الكبير، وبغا الصغير، وأتامش، وذلك بتدبير أحمد بن الخصيب، فحلفوا وتشاوروا، وكرهوا أن يتولى الخلافة أحد من ولد المتوكل لئلا يغتالهم، وأجمعوا على أحمد بن محمد بن المعتصم، وقالوا: لا تخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم، فبايعوه ليلة الاثنين لستٍ خلون من ربيع الآخر وهو ابن ثمان وعشرين سنة، ويكنى: أبا العباس[1].

فاستكتب أحمد بن الخصيب، واستوزر أتامش، فلما كان يوم الاثنين سار المستعين إلى دار العامة في زي الخلافة، وحمل إبراهيم بن إسحاق بين يديه الحربة، وصفَّ واجن الأشروسني أصحابه صفين، وقام هو وعدة من وجوه أصحابه، وحضر الدار أصحاب المراتب من العباسيين والطالبيين وغيرهم، فبينا هم كذلك إذ جاءت صيحة من ناحية الشارع والسوق، وإذا نحو من خمسين فارساً ذكروا أنهم من أصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر، ومعهم غيرهم من أخلاط الناس والغوغاء والسوقة فشهروا السلاح وصاحوا: نفير يا منصور! وشدوا على أصحاب الأشروسني فتضعضعوا وانضم بعضهم إلى بعض، وتحرك من على باب العامة من المبيضة والشاكرية، وكثروا، فحمل عليهم المغاربة وبعض الأشروسنية، فهزموهم حتى أدخلوهم درب زرافة، ثم نشبت الحرب بينهم فقتل جماعة، وانصرف الأتراك بعد ثلاث ساعات وقد بايعوا المستعين هم ومن حضر من الهاشميين وغيرهم، ودخل الغوغاء والمنتهبة دار العامة، فانتهبوا الخزانة التي فيها السلاح، والدروع، والجواشن، والسيوف، والتروس، وغير ذلك، وكان الذين نهبوا ذلك الغوغاء، وأصحاب الحمامات، وغلمان أصحاب الباقلا، وأصحاب الفقّاع، فأتاهم بغا الكبير في جماعة فأجلوهم عن الخزانة، وقتلوا منهم عدة، وكثر القتل من الفريقين، وتحرك أهل السجن

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٥٤) و(٩/ ٢٥٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٥) بمعناه مختصراً، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٤٢)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٢١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٦)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٤٩٤)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٤/ ١٤٤).

بسامراء، وهرب منهم جماعة، ثم وضع العطاء على البيعة، وبعث بكتاب البيعة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، فبايع له هو والناس ببغداد.

ذكر ابن مسكويه في كتاب تجارب الأمم: أن المستعين أخو المتوكل لأبيه، وليس هو كذلك، إنما هو ولد أخيه محمد بن المعتصم، والله أعلم[١].

ذكر عدة حوادث

وفيها ورد على المستعين وفاة طاهر بن عبد الله بن طاهر بخراسان في رجب، فعقد المستعين لابنه محمد/ بن طاهر على خراسان، ولمحمد بن عبد الله بن طاهر على العراق، وجعل إليه الحرمين، والشرطة، ومعاون السواد، وأفرده به[٢]. ج٥/٣١١/ط

وفيها مات بغا الكبير، فعقد لابنه موسى على أعمال أبيه كلها، وولى ديوان البريد، وفيها وجه أبو جور التركي إلى أبي العمود الثعلبي، فقتله بكفرتوثى لخمس بقين من ربيع الآخر.

وفيها خرج عبيد [الله] بن يحيى بن خاقان إلى الحج، فوجه خلفه رسول ينفيه إلى برقة ويمنعه من الحج[٣].

وفيها ابتاع المستعين من المعتز والمؤيد جميع مالهما وأشهدا عليهما القضاة، والفقهاء، وكان الشراء باسم الحسن بن المخلد للمستعين، وترك للمعتز ما يتحصل منه في السنة عشرون ألف دينار، وللمؤيد ما يتحصل منه في السنة خمسة آلاف دينار، وجعلا في حجرة في الجوسق، ووكل بهما، وكان الأتراك حين شغب الغوغاء أرادوا قتلهما، فمنعهم

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٥٦ ـ ٢٥٨)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٦) مختصراً، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٤٧) بمعناه مختصراً، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٥) بمعناه مختصراً.

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٥٨)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٢١)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٤٢)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٧)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٤٩٥)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٤٧).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٥٨)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٢١)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٤٢)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٧) و (١٢/ ٩)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٤٧).

أحمد بن الخصيب، وقال: لا ذنب لهما، ولكن احبسوهما، فحبسوهما[١].

وفيها غضب الموالي على أحمد بن الخصيب في جمادى الآخرة، واستصفى ماله ومال ولده، ونفي إلى أقريطش.

وفيها صرف علي بن يحيى الأرمني عن الثغور الشامية وعقد له على أرمينية وأذربيجان في شهر رمضان.

وفيها شغب أهل حمص على كيدر عاملهم فأخرجوه، فوجه إليهم المستعين الفضل بن قارن، فأخذهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وحمل منهم مائة من أعيانهم إلى سامرا[٢].

وفيها غزا الصائفة وصيف، وكان مقيماً بالثغر الشامي، فدخل بلاد الروم، فافتتح حصن فرورية.

وفيها عقد المستعين لأتامش على مصر والمغرب، واتخذه وزيراً.

وفيها عقد لبغا الشرابي على حلوان، وماسبذان، ومهرجان قذق، وجعل المستعين شاهك الخادم على داره، وكراعه، وحرمه، وحراسه، وخاص أموره، وقدمه وأتامش على جميع الناس.

وحج بالناس هذه السنة: محمد بن سليمان الزينبي[٣].

وفيها حكم محمد بن عمرو أيام المنتصر، وخرج بناحية الموصل خارجي، فوجه إليه المنتصر إسحاق بن ثابت الفرغاني، فأسره مع عدة من أصحابه، فقتلوا وصلبوا.

وفيها تحرك يعقوب بن الليث الصفار من سجستان نحو هراة.

وفيها توفي عبد الرحمٰن بن عدويه أبو محمد الرافعي الزاهد، وكان مستجاب الدعوة ـ وهو من أهل إفريقية ـ.

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٥٨، ٢٥٩)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٧).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٥٩)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٨)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٢١)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٤٢)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٤٩٥).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٥٩، ٢٦٠)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٨، ٩).

وفيها سارت سرية في الأندلس إلى ذي تروجه، وكان المشركون قد تطاولوا إلى ذلك الجانب، فلقيتهم السرية، فأصابوا من المشركين، وقتلوا كثيراً منهم.

وفيها كان بصقلية سرايا للمسلمين، فغنمت وعادت، ولم يكن حرب بينهم تذكر.

الوفيات

وفيها توفي أبو كريب محمد بن العلاء الهمداني الكوفي في جمادى الآخرة ـ وكان من مشايخ البخاري ومسلم ـ ومحمد بن حميد الرازي، المحدِّث.

obeikandl.com